



Continue of large to the second of the secon

العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

طلقة تنوير 53: من وحى اللحظة القومية الراهنة

الاحتلال: الأدوات والمتعاونون

ناجى علوش

(من أوراق القائد والمفكر القومي الراحل ناجي علوش... لا يوجد عليها تاريخ، لكن الأرجح أنها كتبت بين عامي 1995 و1997)

عند حدوث أي احتلال، يلجأ المحتلون إلى إبراز قيادات عميلة تكون أداتهم في مهمة إخضاع الشعب الذي فرض عليه الاحتلال. وتكون هذه الأداة مكروهة دائماً، لأنها العصا الغليظة التي تستخدمها قوات الاحتلال في جمع المعلومات والاعتقال والتعذيب والقتل. وإلى جانب هذه الأداة يبرز صنفان من القيادات:

الأول، شعبي مناضل ملتزم، يلجاً عادةً إلى المقاومة الشاملة التي تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة، من الاستفادة من القانون، إذا كانت القوة المستعمرة قوة تطبق القانون في بلادها، كالإنجليز والفرنسيين، إلى التظاهر والإضراب وكل أشكال الاحتجاج، إلى المقاومة المسلحة، وهذا الصنف لا يعترف بالاحتلال، ولا يعمل ضمن أطره، ويرفض كل إغراءاته.

الثاني، مهزوم، يلجأ إلى التعاون مع الاحتلال، ويبرر ذلك بأمرين:

1) أن الاحتلال صبار أمراً واقعاً، وأن هزيمته ضمن إطار موازين القوى القائمة غير ممكنة، ولذلك فإن التعايش معه بات سياسة واقعية، والدعوة إلى النضال لاسقاط هذا الاحتلال حلم مغامر، أو سياسة غير عقلانية. ولقد ذهب إلى ذلك المتعاونون مع الاحتلال في كل مكان.

المتعاونون مع الاحتلال في كل مكان. 2) أن خدمة الشعب الذي يحكمه الاحتلال تتطلب دخول مؤسسات القوة الحاكمة، والمطالبة بالحقوق من داخلها، والدفاع عن مصالح المواطنين بكل أشكالها.

ولذلك فإن هذا الصنف يربط تعاونه مع الاحتلال بالعمل على إطلاق سجين مثلاً، وبمقاومة كل أشكال المقاومة العنيفة، وبتوظيف بعض العاطلين عن العمل، ومحاولة منع مصادرة قطعة أرض، إلخ..

لكن هذا الصنف ينسى أنه تنازل عن الوطن والمقاومة مقابل هذه ''الإنجازات'' التي يحققها.

طلقة تنوير 53: من وحى اللحظة القومية الراهنة

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 تشرين أول 2018

- الاحتلال: الأدوات والمتعاونون/ ناجي علوش - قراءة في واقع الأحزاب العربية: المشهد السياسي في تونس نموذجاً, عبدالناصر بدروشي

- ما بين المشروع القومي العربي ونهج المقاومة/ إبراهيم علوش

- المسرح الرئيسي في مدينة البتراء/ فارس سعادة - الصفحة الثقافية: فدائي الكلمة غسان كنفاني/ طالب جميل

- قصيدة العدد: بكائيات (سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس)...أمل دنقل

- كاريكاتور العدد

لمتابعتنا انظر:

لمتابعتا على فيسبوك، ابحث عن: لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

ر و ابط صديقة

موقع الصوت العربي الحر www.freearabvoice.org

راسلنا على: _arab.nationalist.moderator@gmail.com_



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

ثم أن هذا الصنف لا يذكر أن تجارب أمثاله مع سلطات الأحتلال أثبتت الفشل الذريع في كل الميادين، لأن هؤلاء المتعاونين لا يستطيعون منع آلسياسة الاستعمارية من تحقيق أهدافها، كما أثبتت كل التجارب. والعدو الغاصب، لا سيما عندما يكون استعمار أ استيطانياً، يواصل اغتصاب الأرض، وطرد السكان، وتعذيب المعتقلين وقتــل المناضليــن، ولا يرده عن ذلك تعاون المتعاونين، ورجاء المتوسطين.

وهذه تجربة الأرض المحتلة سنة 1948 خيـر دليـل. إذ أن العدو أعطى سكانها الأصليين "الجنسية الإسرائيلية"، ولكن هذا لم يمنعه من معاملتهم معاملة مختلفة عن المستوطنين الصهيونيين، إذ أن أرض العرب، داخل الكيان الصهيوني، ما زالت تصادر وتبني فيها المستوطنات، وما زال السكان يطردون من بيوتهم وأراضيهم، وهناك أكثر من مليون عربي ما زالوا صامدين في أرضهم التي احتلَّت سَنة 1948، ثَلَاثمئة ألف منهم طرتوا من بيوتهم وأراضيهم، وما زال الحبل على الجرار، لأن هنـاك برامج استيطان، ومد طرق التفافية واستراتيجية، في الجليل، كماً هي الحال في الضفة الغربية وغزة والنقب.

ورغم ذلك، فإن هناك العديدين الذين يتهافتون على الترشح لانتخابات الكنيست، ويصرون على ضرورة التعايش مع العدو، وترويج دعاوى السلام معه، ومطالبة أمتهم بالتخلي

عن سياسة المطالبة بالحقوق القومية، ونبذ سياسة الحرب والمقاومة. ويعتقد هؤلاء أنهم يقومون بدور جلل، وأنهم يحمون شعبهم وأرضهم. ولا يجد مثل هؤلاء مانعاً من العمل من أجل "السلام"، وتسخيفُ مواقف القُوي المصرةُ على العمل لاستعادة الحقوق القومية، ومنها حقوقهم في أرضهم والسيادة عليها.

ولا يكتفى هؤلاء بمطالبتنا بالاستسلام للعدو، والقبول بشروط سلامه، بل يذهبون أبعد من ذلك، إذا رفضنا الاستسلام، فيتهمو ننــاً بالمغامـر ة و الار هـاب، و بشـنو ن الحمـلات علينــا، بـدلاً مـن أن نكـو ن نـــن المبادر بـن.

على كل حال، إن وجود أداة للاحتلال أمرٌ طبيعي، ولكنها تصغر وتضعف بمقدار اتساع المقاومة. ثم إن وجود صنف من المتعاونين الذين يحاولون "خدمة الشعب" هو أمِرٌ طبيعيٌ أيضا، ويضعف هؤلاء بمقدار اتساع جبهة القوى المعادية للاحتلال. ويسقط العملاء الذين يستخدمون كأدوات، والمتعاونون الذين يخلقون لأنفسهم المبررات، مع تقدم حركة المقاومة المعادية للاحتلال، على طريق النصر.

لقد سقط هؤلاء في الجزائر وفيتننام، وكل مكان، ولسوف يسقطون في فلسطين.



قراءة في واقع الأحزاب العربية المشهد السياسي في تونس نموذجاً

عبدالناصر بدروشي

هذا المقال هو قراءة في أبعاد المشهد السياسي التونسي والعربي ، تنطلق التونسي والعربي ، تنطلق من الراهن لتحليل وفهم أسباب الأزمة التي تعيشها التيارات القومية واليسارية على امتداد الوطن العربي، وتُحَاول التَّطُّرُق إلَّى مُسَالة الأليات والأَداء، وتطَّررُح تصورات للخروج من التيه والضياع والعشوائية التي أصبحت السمة الأبرز للقوميين واليسار العربيين.

لا يظنن أحد أن الهدف من هذا المقال هو التهجم على الأحزاب العربية والنيل من منجزاتها ولا من رموزها و لا نرمي البتة إلى المزايدة على أي طرف.

وإن فَهِمَ بِـأي شـكل مـن الأشـكال أن الغايــة مـن وراء كتابـةً هـٰذه السطور هـي التخويـن أو النيـل مـن رمـوز العمل القومي والتنظيمات والأحزاب القومية واليسارية أو المزايدة عليها فذلك ربما يكون بسبب قصور مني في إيضاح المبتغي.

كما نعتذر مسبقا للقارئ الكريم أيا كانت مرجعيته التنظيمية عن صراحتنا البالغة في تشريح الواقع واعتمادنـا لأسلوب نقدي صريح (إلـيّ درجـة قد تزعج البعض) وذلك كشرط أساسي للإمساك بالجذر الحقيقي للمشكلات التي يعيشها التيار القومي العربي واليسار العربي بمختلف مشاربه بدل اعتماد الطبطبة وتوزي الـورود والنفـاق. فالتشريح الدقيِّق والعمِيـق هـو الشّرط الموضوعي لحل المشكلة حلاً جذرياً.



و لأننا نحترم هذه القوى السياسية ونكنّ لقواعدها كل مشاعر الود والتقدير، سنكون صريحين خلال نقدنا لأدائها، وإن لمس منا القارئ الكريم حدةً فهي من منطلق غيرتنا على واقعنا وواقع شركائنا في الوطن.

إن الدافع وراء كتابة هذا المقال هو الإسهام في وضع تصورات وأسس يمكن أن تساعد في تطوير أداء قوي المعارضة القوميـة واليسـارية العربيـة عمومـاً، وإن اعتمدنـاً على المشـهد التونسـي كمنطلـق فـي التحليـل ليـس كخصوصيـة إنمـا كعينـة عربية يمكن تعميمها بدرجات متفاوتة.

منذ انطلاقة ما سمى "ربيعاً عربياً" وحالتنا كأمة عربية تشهد انحداراً من السيء نحو الأسوأ، والأوضاع في تونس لا تختلف كثيراً عنها في أغلب الأقطار العربية مِن حيث تفشي ظاهرة الإرهاب وشيوع الفوضي، والتراجع الملفت لحضور الدولة لتحل مكانها منظمات التمويل الإجنبي، بالإضافة إلى عجز الدولة عن وضع حد لمسلسل انتهاك السيادة الوطنية من قبل قوى الهيمنة الخارجية وأدواتها، ناهيك عن تسليم رقاب الشعب إلى مقصلة صندوق "النقد" أو النهب الدولي ليتحول إلى حاكمٍ فعلي للبلاد يشرف على ترسيخ سياسات اقتصادية وجبائية قصمت ظهر المواطن حتى بلغ مستوى "مقدرته الشرائية" قاع الحضيض.



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

الملفت للانتباه في الحالة التونسية، هو أن الوضع المزري الذي وصلنا إليه اليوم ليس من إنتاج الائتـالف الحاكم الأخيـر وحـده، بـل هـو نتيجـة برنامـج متكامل تكالبت الحكومات التي تعاقبت على حكمنا على تنفيذه، ودخلت - أي الحكومات - في منافسة محمومة شعارها الأبرزكان التفويت في مؤسسات الدولة والقطاع العمومي والثروات المنجمية والطاقة لمصلحة المستثمر الأجنبي.

أمام هذا الوضع الكارثي تعالت أصوات "المعار ضات" يمنة ويسرة، داعية إلى تشكيل جبهة إنقاذ لمواجهة منظومة الحكم، محملين مسؤولية تردي الأوضاع كاملة إلى الائتلاف الحاكم (الإخونجي-الليبر الي)، حتى أن البعض من الشق الوطني المعارض، وهو يستميت في سبيل الحصول على مقعد في برلمان "بول بريمر (*)"، أصبح يردد عبارة ضرورة إنقاذ العملية السياسية وإنقاذ المسار الانتخابي والديمقراطي.

لا نعرف لمصلحة من يستميت البعض لانتشال وإنقاذ المسار "الديموقراطي". فكلما تأزمت حال هذا المسار العفن بسبب تمسكه وتفانيه في تطبيق سياسات صندوق النقد الدولي وتطبيقه للإمالاءات الإمبريالية، هب الجميع (إلا من رحم ربي) لإنقاذه وإعادة الروح اليه، وكل عملية إحياء لهذا المسار تساهم في استدامة



قبل البدء في تقديم رؤيتنا للحِل لابد مِن الانطلاق من تحليل عميق ودقيق للواقع، وقبل كل هذا وذاك، لا بد من ذكر تفصيل مهم، وإن بدا صغيراً، إلا أنه أساسي لفهم طبيعة قوى "المعارضة"؛

إن أهم ما يميز دعوات المعارضة لبناء تكتلات لمواجهة القوي الحاكمة في تونس هو توقيتها الزمني، حيث أنِها عادة ما تنطَّلق قبيل افتتاح "المواسم" الإنتخابية، وهو ما يجعلها (أي الدعوات) تُتخذ طابع تحالفات انتخابية طارئة أكثر من كونها دعوات لتأسيس كتلة سياسية وازنة قادرة على مقاومة خيارات منظومة الحكم القائمة.

لا شك في أن النضال السياسي الواعي هو الأثبت والأكثر فعالية وليس الإنفعالي المحكوم بمنطق ردات الأفعال، وكنا نتمنى أن يقود وعي قوى المعارضة بقتامة المشعد إلى تشبيكها والتحامها في جبهة وطِّنية تقدمية قومية ويسارية مقاومة تقوم على برنامج سياسي استراتيجي، إلا أن هذا التحدي يبدو بعيد المنال، نظراً لوجود عدة عوائق.

لعل أهم هذه العوائق هو اعتماد أغلب مِكوناتِ المعارضة لأسلوبٍ تحليليٍ يفتقر للمنهجية العلمية عندما يتعاملون مع "أقطار هم" كقطع معلقة في الهواء بعيداً عن تأثيرات الجغرافيا والتّاريخ وَالقوانين التي تحكم حركة الواقع.

ومن مظاهر العبثية مثلاً نشوء تكتلات تضم في صفوفها قوى سياسية تمتلك مواقف متناقضة من القضايا السياسية المركزية في الساحات العربية، وهو ما جعل بعضها يتبني برنامجاً مقاوماً للإمبريالية في تونس في الوقت الذي يتقاطع موقفها السياسي مع الإمبريالية في ليبيا وسورية والعراق واليمن، كذلك تبني بعضها لما يسمى "الربيع العربيِّ" من جهة من دّون إدراكها بـأن مـا تُسـعي إلـي محاربتـه في تونس هـو واحـد مـن أهم مخرجـات ذلك "الربيع".



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

كل هذا يعطينا فكرة وإضحة أننا إزاء معارضات، أغلبها على الأقل، غارقة في التخبط وتمتلك خطابات وبرامج تحمل في طياتها تناقضات خطيرة، وهناك أيضا جرص الأحزاب المعارضة الدائم على الفصل بين ما هو قُطري وما هـ و قومـي وإقليمـي، خــلال النقاشـات الراميــة إلــي بنــاة جبهات وتحالفات سياستية، وإصرار الأحزاب على عدم الزج بتونس أو مصر أو المغرب في صراعات إقليمية، هو دلِيلٌ على ضعف في الرؤيا، فسياسات الحكم التي نِعارضها تأتي ضمن سياق قومي وإقليمي متكامل، وهي أشبه ما تكون بفسيفساء، وحكامنا هم جـزءٌ مـن منظومــة إمبرياليــة دولية متماسكة فيلا معنى للتصدي لمسار دولي والانخراط فی معرکة قومیة و عالمیة بو عی مفکك و مشوه يتعسف علی

أي أننا عندما نخوض معارك قومية ذات أبعاد دولية بأدوات قطرية فنحن نحكم على نضالاتنا بالفشل كوننا نعمل على اختلال ميـزان القـوي لمصلحـة عدونـا، فنفعـل بأنفسـنا مـا عجـز عن فعله عدونا بنا.

في المقابل تتسم القوى الرجعية في تونس مثـ لا بوضوح في الرؤيا، وتتسم ممارستها بالعلمية والمنهجية أكثر من المعارضة. فعندما يقوم حزب "النهضة" الإخواني في تونس

بتشبيك علاقاته بإخوان ليبيا وقطر وتركيا، ويفعل كل ما في وسعه لدعم إخوان مصر في الميدان وبِالموقف السياسي، وعندما يقف ضد محاولة الانقلاب في تركيا وعندما يصر على استقبال جيون ماكين ومادلين أولبرايت وجورج سوروس وتوسيمهم في المقر المركزي لـ "حركة النهضة"، فهذا يبدل على أنبه حزب استراتيجي، وأن "الإخوانً يدركُون أنه لا أمل لهم في تثبيت أركانهم إن لم يكونوا مدعومين من حلفاء على مستوى الإقليم وعلى مستوى دولي من خلال استدرار دعم أكبر قوة عالمية هي الولايات المتحدة، حليفهم الطبيعي والتاريخي بعد بريطانيا.

في المقابل، نجد أن حزب ''نداءِ تونس'' الليبرالي شريك النهضة في الحكم قد فهم قواعد اللعبة جيدا، وعلم أنه لن يتمكن من مواجهة خطر تغول أخطبوط "الإخوان" منفرداً، لذلك قـام رئيس الحـزب بزيـارات اسـتراتيجية إلـي مراكـز قوى عربية واقليمية مناهضة للمشروع الإخواني وتحالف مع حكام الإمارات والسعودية وأقنعهم بدعمه بالموقف و وتمويل حملته الإنتخابية كون حزبه يشكل ضمانة لعدم تغول المشروع الإخواني الذي يخافونه، كما استغل علاقات حزبه التاريخية بباريس، باعتبار "الإخوان" قوة مدعومة أمريكياً وبريطانياً، بينما هي منبوذة فرنسياً وفي بعض

وكذلك الأمر بالنسبة لكل الأنظمة الرجعية، فعلى الرغم من عمالتها إلا أن ممارستها السياسية اكثر علمية من المعارضة القوميـة واليسـارية، و هـي تتحـرك وفـق رؤيـة شـاملة ومتمركـزة ضمن أحـلاف اسـتر اتيجية تخـدم مصالحها.

كل ما تقدم يبين لنا مدى وضوح الرؤيا لدى من نطمح للإطاحة بهم، ويبين لنا أنهم استراتيجيون إلى أبعد الحدود، بينما تتسم معار ضاتنا في أغلبها بضيق الأفق، فبدل تشبيك علاقتها بسورية والجزائر مثلاً، باعتبار أن أنظمة الحك في كلا القطرين في حالة اشتباك مع الإمبريالية وغير مرضٍ عنها غربياً، نجدها تسهب في وصيف أنظمة الحكم فيها بالاستبداد والفساد، وفي افضل الحالات هي لا تعاديها ولكنها تترفع عن التحالف معها! في الوقت الذي يدرك فيه الغرب أي خطر يمكن أن تشكله هاتين الدولَّتين، فالجغرافيا تؤهلهماً أن تكونـا مشـروع حاضنتيَّـن لأي مشـروع تحـرري



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد



كما أن أغلب معارضاتنا لم تدرك بعد أن معاداتها للمشروع الإمبريالي داخل حدود أقطارناً يفرض عليها تصادماً مع العدو الصهيو-أمريكي، وهو أمر يفرض بالضرورة ربط علاقات وبناء تحالفات مع الجزائر وسورية عربياً، والصين وروسيا وإبران وفنزويـلا دوليـاً. فاختـلاف الأيديولوجيـات ليس هو المحدد في تاسيس الجبهات، وليس محددا لمدى تماسكها، بل الرؤيا المشتركة والتخندقات همي المحدد الحقيقي، وهذا ما جعل تحالفا متيناً استراتيجياً ينشأ ببن قوى علمانية وأخرى إسلامية (نموذج: سورية - إيران - حزب الله).

باختصار، إذا كانت المعارضِات جادة في سعيها للتأثير في . مسار الأحداث فعليها أولاً أن تنضبج وتتصرف كقوة سياسية مؤهلة للحكم؛ وأن تعي أن عليها أن تمتلك نظرة أوسع أفقًا وأرحب وعيرًا وأعمق مّما هي عليه اليوم، وأن لا تغرق في التفاصيل، وأن تكف عن اعتبار نفسها مجرد قوة احتجاجية قادرة على إزعاج المنظومة الحاكمة في أفضل الحالات، ويتضح ذالك من خلال غياب الوعبي الاستراتيجي وعدم الخروج من حيز ردة الفعل وعدم قدرتها على إنشاء تحالفات داخلية وخارجية متينة وقوية قادرة على مواجهة اللوبيات الحاكمة المدعومية من الدوائر الإمبريالية.

ليس هذا تعسفاً منا على معارضاتنا، فعندما نتحدث عن البرنامج هنا فإننا لا نعنى بذلك الشعارات المرفوعة أو

المكتوبة هنا وهناك أو في بعض الورقات التي أعدت لغرض الدعاية الانتخابية، وإنما نقصد البرنامج الحقيقي الذي تترجمه الممارسة العملية.

بين المنشود والمتاح نقدم تصورا للمواجهة، مواجهتنا مع الأنظمة الرجعية وخياراتها الانبطاحية بعيداً عن الشعارات الفضفاضة والخطب الإنشائية.

المشاركة في العملية الانتخابية:

تعتبر أغلب الأحزاب العربية اليوم أن الساحة الانتخابية أحد أهم ساحات الاشتباك مع الإمبريالية ووكلائها، إن لم نقل أنها الأهم، ويتساءل البعض حول سر عزوفنا عن المشاركة في العملية الانتخابية، وغالباً ما كان يقابل موقفنا هذا بشيء من الامتعاض وينجر البعض لاتهامنا بالعبثيـة واللاواقعيـة.

سبع سنوات مرت على إطلاق "الربيع العربي"، والمحصلة كانت تزايد هامش الحريات وتنامي النفس "الديموقراطي" بمفهومة "الربيعِي"، وأعتبار الانتقال الديموقر اطني (ديموقر اطية صناديق الاقتراع) هو الحلّ، والمخرج الوحيد لنا كعرب من كل أزماتنا.

هذا الطرح الذي بات يروج له غربياً وعربياً عبر مراكز الأبحاث والدراسات، كواحدة من أهم أدوات مشروع «الربيع» والتي ساهمت في تهيئة الأرضية لـه، أدى إلى انخراط أغلب الأحزاب في العمليات السياسية داخل الاقطار العربية، وقد تم تدجين هذه الأحزاب وإعادة تدويرها عبر إحداث تغيير جذري في وعيها عبر المراجعات التي مهدَّتُ لها مراكز الأبحاث العربية المختَّرُقة، فأنتجَّت وعياً إصلاحياً لا يُرى ضيَّراً في التعامل مع الواقع والاجتهاد في تحسينه وتجميله وفق الممكن عبر مقولات مثل: «السياسة فن الممكن»، وضرورة تحقيق بعض المكاسب داخل منظُّومـة التجزُّئـة ووفُّق شُـروط هـذه المنظوّمـة حتـي لا نقصـي أنفسـنا خـارج المشـهدُ السياسـي ولا نهمـش أنفسـنا. الحل الحقيقي يكمن في الأنخراط في العمل السياسي بغية إجداث ثورة اجتماعية تجتث عوامل التخلف والتجزئة والاحتـلال، بيّنمـا يتسـم ألطـرح الاصلاّحـي بأنــه ليـس استئصالياً مـن حيـث النزعــة بـل هـو أقـرب مـا يكـون إلــي عمليــة



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

مثل هذا الوعي الإصلاحي المسخ، هو النقيض الموضوعي للوعي الثوري الجذري الذي يرى إلحل في قلب الطاولة على آمتِدادات النظام العالمي داخل أقطارنا ألعربية، فنحن نهمش أنفسنا عندما نقبل بالدخول في لعبـة تجر دنـا مـن أهم ســلاح نمتلكــه و هــو تثويــر الجماهيــر بــدل تدجينهــا، وتأليبهــا في اتَّجاه افتكاك حقوقها بدل الاحتكام اليها.

نحن هنا لا نرفض مبدأ الاحتكام إلى الجماهير ، بل نرفض الاحتكام إلى جماهير مسلوبة الإرادة وموجهة عبر قنوات إعلامية ودعائية ومالية لا مكان لنا فيها ولا قبل لنا بها، فنحن نرفض الاحتكام إلى الجماهير التي لم تسمعنا والتي شــوهوا صورتنــا فــي أذهانهــا زوراً وبهتانــاً عبــر القصــف الاعلامي الممنهج.

إن رفضنا للانخراط في العملية السياسية الانتخابية ليس مبدا مطلقا؛ وليس من باب الطهر انية التي تقود إلى الانعزال، إنما هو موقف سياسي راهن يمكن أن يتغير بتغير الظروف والساحات، ونحن نؤمن بضرورة تحقيق الشروط الموضوعية للمشاركة قبل الانخراط فيها.

خلال مشاركتها في العمليات الانتخابية، قامت الاحزاب العربية القومية واليسارية بطرح ورقات وبرامج إنتخابية تنادي بالعدالة الاجتماعية وتتمحور حول مقولة الانتصار للطبقات الشعبية الكادحة والمفقرة، ظناً منها أن تقديم

برنامج انتخابي ينتصر للجماهير سيساهم في تقريبها للجماهير.

إلا أن الجماهير لا تقرأ ولا تسمع. بل تحس.

على الرغم من أهمية البرنامج وأهمية أن يكون واقعياً ونموذجياً، إلا أن ذلك ليس شرط النجاح في العملية السياسية. فـلا يكفي أنَّ نمتلكِ الحق حتى ننتصر . والواقع يبين أن أكثر من وصلوا لا يمتلكون برنامجاً وطَّنياً بالمفهوم القطري، ولا برنامجــاً قوميــاً ولا يســارياً، وأكثــر مــن حصــد أصــوات الجماهيــر يحملــون مشــاريع معاديــة للجماهيــر.. والتغييــر الاقتصادي والاجتماعي الكارثي الحاصل كنتيجة لانتصار هؤلاء في العمليات الانتخابية في كل من تونس والعراق وليبيا ومصـر هـو خيـر دليـل علـي معاِداتهم لمصلحـة الجماهيـر وخدمتهم لمصلحـة الدوائـر الأجنبيـة .. فهم معـادون للوطـن .. ولا يمكن أن نتَّخذ أسلوبهم نموذجاً كما يدعى بعض ''المثقفين'' الذيِّن يشيدون بجدواه وفاعليتـه.

هم وصلوا عبر المال الرجعي والإمبريالي، والدعم الذي تحصلوا عليه كان عبر قنوات رأس المال، فهل علينا أن نتعلم منِهم ونتبع مسلكيتهم؟ و هل نِحن قادرون على منِافستهم بأسلحتهم؟ لأن مشـرِوعنا يختلـف جذريـاً عمـا يطرحـون، ولأننـا نمثـل النقيـض الموضوعـي لطرحهـم، فـإن مسِـلكيتنا سـتكون حتمـا

مسلكية أخرى قادرة على جلب الجماهير لصفوفنا، وهي، أي الجماهير، الجسر الذي يوصلنا للتأثير السياسي.. ونحن بوصلتها للطريق الذي يمكن أن يوصلها لتحقيق مصالحها.

كبف؟

إن الأزمة التي يعيشها التيار القومي على امتداد الوطن العربي ليست أزمة فكرية بقدر ما هي أزمة آليات. حتى مشاركتنا في ألعملية الانتخابية تمت بطرق غير مدروسة، وكانت تعبر عن انسياقنا في المسار الذي تم رسمه. في تونس مثلاً أنطلقت المعار ضات من معلومة صحيحة ليصلوا بها إلى استنتاجات خاطئة لامنطقية.



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

توضح الإحصائيات للجميع أن نسب المشاركين في الانتخابات السياسية شهدت انخفاضاً حاداً بحسب الهيئة العليا المستقَّلة للانتخابات:

- الانتخابات التشريعية 2014: العدد الإجمالي للمقترعين بجميع دوائر الاقتراع في البلاد بلغ ثلاثة ملايين و 266 ألفاً و214 مقتر عاً، فيما بلغ عدد المقتر عين في انتخابات المجلس التأسيسي 3,9053,905 عام 2011، و هو ما يمثل انخفاضاً مُقداره أكثر من %24، وسنرى ما تسفر عنه الانتخابات التشريعية في عام 2019.

- الانتخابات البلدية 2018: العدد الإجمالي للمقترعين بجميع دوائر الاقتراع في البلاد بلغ مليوناً و796 ألفاً و154 مقترعاً، وقد أجمع المراقبون والمنظمون كما الأحزاب السيآسية على أن نسبة المشاركة صادمة ومُخية للأمالُ في مقابل التوقعات والدعايات التحفيزية الكبيرة التي قامت بها الدولة.

و هـو مـا يـدل علـي عـزوف الجماهيـِر وعـدم ثقتهـا فـي المشـهد السياسـي جملـة وتفصيـِلاً، وِالسـبب وراء سـخط الجماهيـر على المشبهد السياسي و أنسحاب الأغلبية مِن المشاركة فِي اعتقادنا تعود لإدر اكها أن الأحزاب المشاركة لا تعبر عُن طموحاتها، وأنها عاجزة عن تقديم حلولاً لمشكلاتها، وأبعد ما تكون عن همومها.

وسط هذا المشهد تتوهم المعارضة أن اندفاعها نحو العملية الانتخابية وتقديم شعارات وخطب رنانة تتغنى بالكادحين و همومهم ومشاغلهم سيمكنها من تحقيق مكاسب مهمة كونها الأجدر بنيل الثقة، فنـرى الأحـزاب القوميـة واليسـارية تتسابق في تشكيل قوائم انتخابية متعددة وتكتلات مختلفة وكل ائتلاف بما لديهم فرحون.

وفي قراءتنا لهذا المشهد نري أن:

- أغلبية الشعب عازفة عن المشاركة في المهزلة الانتخابية وجمدت ثقتها في اللعبة الديموقر اطية حتى إشعار أخر

- قواعد الإخوان والليبر اليين من أنصار النظام السابق ثابتة، ولا يمكنّ أن تميل إلى انتخاب قوى يسارية التوجه بأي

شكل من الاشكال.

- القوى القومية واليسارية عجزت عن تشكيل تحالف انتخابي واسع وجامع، وأن تقديمها لقوائم متعددة ومشتتة في ظل غياب الموارد المادية والإعلامية سيخلق حالة استقطاب حاد داخل صفوف المعارضة نفسها، كونها غير قادرة على استمالة قواعد الأغلبيـة الحاكمـة، بـل سـتعمل علـي تقاسـم قواعدهـا الانتخابيـة)أي القواعـد المحسـوبة علـي القومييـن واليسار (التي سنتفرّق وتتشتت حين تجد نفسها أمِام عدة خيارات.

- المشاركة الضعيفة للمعارضة تمكنها فقط من أن تحتل موقعا "ديكورياً" عن جدارة، لا تتجاوز وظيفته إضفاء الشرعية على قرارات الأغلبية حتى وإن عارضتها، فبمعارضتها لهذه القررارات تمنحها الصبغة الديمقراطية. الحلُّ قطِّعاً هو اكتساب ثقة الأغلُّبية التي تراجُّعت، ونيل ثقتها يكون في الشارع أولاً، وليس في قاعات الاقتراع.

وسبق أن قلنا أن الجماهير لا تقرأ البرامج ولا تستمع إلى الخطب، بل تحس بمن يلتحم معها ويقودها نحو انعتاقها. الجماهير تلتجم بمن تحس بمصداقيته ويطابق قوله فعله، والفعل يكون في الساحات النَّضالية وليس الخطَّابية الانتخابية.

كسب ثقة الجَماهيـر يكـون عبـر امتـلاك خطـاب واضـح وجـريء يقـرأ نبـض الشـعب ليكـون قريبـاً منــه ولا يخطـب ودّ الدوائر الإمبريالية ولا يخشى استغضاب من تسبب في تفقيرها ونهب مقدراتها

كسب ثقة الجماهير يكون بالرجوع للشارع والتخلي عن والخروج من الأطر التي لفظها الشعب وسحب ثقته منها، والاشتباك مبع قوى الهيمنة الخارجية وكل من يعمل لمصلحتها.

عندها، لا بأس من المشاركة في العملية الانتخابية ولا خوف من خوضها، دون أن نغفل عن ماهيتنا كثوريين جذريين قومیین ویساریین.

هذه الورقات هي دعوة جادةٍ لمراجعة حقيقية لأدائِنا كقوميين ونقد مسلكياتنا نقداً بناءً يرمي لإخراجنا من حالة الوهن والضياع التي باتت سمتنا الأبرز كتيار، وتطوير أدائنا بما يسمح للفكرة القومية بالخروج من الحيز الورقي إلى أرض الواقع والانتقال من الشعار إلى التطبيق، والدَّفع إلى مراجعة الأليات المتبعة من طرف القوى السياسية ودَّحض فكرة تمكنت من السيطرة على وعي ولا وعي العديد من الوحدويين مفادها أن القومية العربية قضية شعار اتية حالمة وأن القوميين أبعد ما يكون عن العَّلمية وأنهم ينادون بفكرة غير ممكنة التحقيق، وإن تحققت ربما فإن ذلك سيكون بعد مئات أو ألاف السنين! وعندما نسأل كيف؟ تكون الاجابة في اغلب الأحيان: لا ندري!



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

بعد سلسلة من الحوارات مع عدد كبير من القوميين (منتظمين ومستقلين، شباب وشيوخ) اتخذت طابعاً ودياً، وبعد محاولة فهم العوامل المؤدية إلى تبني مسلكيات تتناقض مع القناعات الأيديولوجية المرَّفوعة، توصلتِ إلى قناعة مِفادها أنِ السر وراء هذا الوضع هو غياب رؤية وتصور واضّح للأليات، وهذا ما أدى إلى تخبط في الأداء وارتجالية أفقدت الأحزاب والتنظيمِات القومية بوصلتها في كثير من الأحيان وأفرغتها من محتِّواها الوحدوي الذي ظل حبيس الشعارات والهتافات، وأصبحت هناك هوة سحيَّقة بين الشعار والممارسة تزداد يوماً بعد يوم.

نحن نقف أمام حالة فصام حقيقي وعدم انسجام بين روح المناضل القومي وقناعاته وعقيدته السياسية من جهة، وممارسته من جهة أخرى.

عند تقييمنا لأداء حركات التحرر العربي نجد أن لها حسنات كثيرة على الرغم من بعدها عن الكمال، وأن تجربتها بحاجة إلى التطوير والتحسين المستمرين، وعندما نتحدث عن التطوير فهذا يعني المحافظة علي النجاحات والإيجابيات، والاستفادة من الأخطاء عبر تصويبها وتجنب تكرارها، ومن هذا المنطلق التقييمي نلاحظ أن الفضل في الإنجازات التي حِققتهاِ حركات التحرر العربي في زمن المد القومي خلال خمسينيات وستينيات وحتى سبعينيات القرن الماضي يعوَّد أساساً إلى تمسكها بمسلكيتها الثورية وعنفها الثوري كخيار استراتيجي لمواجهة العنف الإمبريالي. لهذا عمدت الإمبريالية إلى تجريدنا من سلاحنا الاستراتيجي ألا وهو خطابنا ومسلكيتنا عبر أدواتها الناعمة وأساطيل المثقفين الذين اخُترُقُوا معسكرنا وتلبسوا بلبوسنا وتكلموا بمصطلحاتنا وعملوا بشتى الطرق ولعقود على اقناعنا بضرورة التخلي عن جوهرنا مع الإبقاء على القشور ولم يدخروا جهداً في ذلك مستغلين كل المنابر المتاحة الإعلامية والثقافية، وأتسالوا الكثير من الحبر وأطنانا من الورق في سبيل ذلك.

وفي المحصلة تمكنتِ الامبريالية من حرف الصراع عن مساره حين اقنعت قطاعات واسعة من القوميين واليسار بأن أزمِتَنا الحقيقية هي أزمة حريات وحقوق انسان وأن محاربة الاستبداد أولى من مجابهة الاحتلال والهيمنة الخارجية و التقسيم.

فأصبحت الثورة والكفاح المسلِّح "تعنت بالأطِروحات الماضوية"، وأن لغتها "خشبية ومن الماضي"، ولم يعد لها مكان في عالمنا المتحضر الديموقراطي جداً، وأنّ المتغيّرات تحتّم علينا اتّباع المسار الديمقراطي الغربي، وأصبح "الصندوق" الانتخابي أحد مقدساتنا التي ينبغي علينا الحفاظ عليِها أكثر من حرية الناس وأرواحهم وأرزاقهم. وبينما تمّ دفع الثوريين إلى التنازل عن مصطّلحاتهم ومفاهيمهم خوفاً من نعتهم باتباع الدوغمائية واتهامهم بالتكلّس وعدم الواقعية والجمود والشمولية.

نجد في المقابل أنّ الامبرياليـة حافظـت علـي كلّ ممارسـاتها الاسـتعمارية الرأسـمالية مـن اسـتغلال ونهب مقـدرات الأمـم وشنَّ الْحروب على الشعوب الأمنـة ودكتاتوريـة الشركات والبنـوك العابـرة للقـارات..

وبالمقابل يطلبون من مناهضيهم بأن يغيّرِوا محتوى أسلوبهم الكفاحي والثوري وليس مصطلحاته فقط، كل هذا لأن الامبريالية تسمّى الكفاح التحريري إرهاباً.

المشروع القومي العربي إما أن يكون ثوريا أو لا يكون.. فالفكرة القومية في جو هر ها تمثل النقيض الموضوعي للواقع القطـري السِـائد، فالوحـدة هـي النقيـض الموضوعـي للتجزئـة والصـراع بيـنّ هذيـن الضديـن صـراع تناحـري وتضمانـة استمرارية أي طرح منهما مرهون بفناء الطرح الأخر.

فكل خطوة نخطوها نحو كسر واقع التجزئة هي تقدمٌ لمصلحة المشروع القومي العربي، وكل عملية تطبيع مع واقع التجزئة تغذى المنظومة القطرية، ولو كانت بأيد ''قومية''، حتى لو كانت دوافعهم نبيلة تحت شعار تحقيق مكاسب للقوميين تصبُّ عملياً في مصلحة أعداء المشروع القومي العربي، وكل من له مصلحة في الإجهاز على الفكرة الوحدوية، والانخراط في المنظومة القطرية بأدوات قطرية والعمل بآلياتها يكرسها حتى ولو كانت الغاية المرجوة



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

وكلمة السر في الاجابة عن سؤال: ما الحل؟ هي: الأليات والجماهير

الملابيين من اللذين منحوا ثقتهم لعبد الناصر ولتشافيز ولبشار الأسد والذين تحملوا أعباء الصراع مع الإمبريالية لم يكونوا ليفعلوا ما فعلوه لو لم يحسوا.. أقول يحسوا.. بصدقهم وقربهم منهم..

ولم تكن الجماهير لتصمد أو يستمِر صبرها في تحمل الأعباء لولا إبداع هذه القامات في اجتراح آليات مبتكرة قادرة على تحقيق مكاسب حقيقية على أرض الواقع.

لا وجود لثورة بدون جماهير.. ولا يقدر على تحريك الجماهير من يحتقرها ويتعالى عليها.. وقبل الاحتكام للجماهير علينا أن نضبط الموجة بيننا كمناضلين وبين الجماهير حتى نمتلك قلوبها ونستحق شرف قيادتها نحو الانعتاق عن

(*) بول بريمر هو حاكم العراق بعد الاحتلال و"نوح فيلتمان" أستاذ القانون المفوض تحت إمرة بول بريمر هو من وضع دستور العراق ودستور تونس، وهذا الأخير لم يغادر قاعة البرلمان في تونس طيلة فترة كتابة الدستور .. وكل مكونـات المعارضـة والأطراف الوطنيـة يعلمون ذلـك.

ما بين المشروع القومى العربى ونهج المقاومة

إبراهيم علوش

تمثـل المضمـون التقدمـي للثـورة الفرنسـية (1789) مـن منظـور تاريخـي، بعيـدا عـن شـعار "حريـة، مسـاواة، أخـوة"، فـ نِقطتينِ محددتين في برنامجها السياسي هُما: 1) المواطنة، 2) حق تقرير المصيّر، اعتبرتهما الثورة الفرنسية رسالة إنسانية من واجبها السامي أن تذيعهما وتطبقهما في أرجاء أوروبا والعالم، بالقوة عند الضرورة.

ومع أن هاتين النقطتين تبدوان اليوم، بسمتهما العامة والفضفاضة، كلاماً مكرراً، وحتى ممجوجاً، فإنهما في تلك اللحظة التاريخية كانتا، من جهة، انعكاساً لتحول "تاريخي-عالمي"، بالتعبير الهيجلي، وكانتا، من جهة أخرى، انعكاساً لصراع اجتماعي-سياسي دموي عنيف بين قوى النظام القديم والنظام الجديد في أوروبا. ففكرة حق المواطنة وسيادة الشعب في وطنه جاءت لتحل محل فكرة "الرعية" فاقدة الحقوق السياسية التي سادت في ظل النظام الإقطاعي، بنبلائه وكهنته، لذلك فإنها كانت صرخة مدوية أطلقتها الطبقات الوسطى الصاعدة في المدن، والعمال والفلاحين، في سعيها لتفكيك النظام الإقطاعي ومؤسساته والإطاحة برموزه وإحلال أخرى محلها.

أما فكرة حق تقرير المصير، فهي مستمدة بالطبع من فكرة سيادة الشعب على أرضه، لكنها كانت تعني تفكيك الإمبر اطُوريات والممالك متعددة القوميات في الجوار الأوروبي، ذات الطابع الرجعي أصِلاً، وعلى رأسها إمبر اطورية آل هابسبرغ في النمسا-المجر، ولذلك فإن الثوّرة الفرنسية، منذَّ انطلاقها، وإنَّجهت حرّباً شعواء من قبل القوي الأوروبية السائدة عبر قوس امتد من الإمبر اطورية البريطانية إلى بروسيا وصولاً للعثمانيين جنوباً وإلى روسيا شمالاً، ومن هولندا إلى إسبانيا، إلى الولايات المتحدة التي انقلبت على فرنسا، التي دعمتها في حرب الاستقلال الأمريكية ضد بريطانيا، فخاضت معها مواجهات بحرِية ضاِرية (1800-1798)، وقد لعبت هذه الحروب واستحقاقاتها، إلى جانب الحرب الأهلية في فرنسًا نفسها، دوراً أساسِياً في انتقال الثورة الفرنسية إلى العهد الذي عُرف باسم "حكم الإرهاب" (1793-1794)، والاحقاً في تحول فرنسا إلى الديكتاتورية التي مثلها القائد العسكري الفَّذ نابليون بونابرت مع وصوله للسلطة (1799)، ليتحول تشروع ''تصدير الثورة الفرنسية"، إلى مشروع لتأسيسٌ إمبراطورية فرنسية بأسم نشر "الحرية، المساواة، والأخوة"!

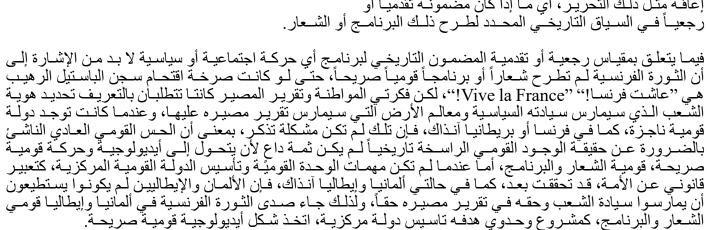
لكنِ تلك قصةً أخرى، وما يهمنا هنا ليسِ التأريخ للثورة الفرنسية وتحولاتها، أو مدى إخلاصها لبرنامجها السياسي، بل أن القطة كانت قد أفاتت من الكيس، وأن الشعوب والنخب التقطت رسالة المواطنة وحق تقرير المصير لـتصبح



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

محركاً أيديولوجياً عملاقاً لثورات كبري عبر العالم، ظلت إر هاصاتها تتردد حتى يومنا هذا، وقد ظلت تلك ألرسالة الأكثر تأثيرا على كوكبنا حتى جاءت ثورة أوكتوبر الاشتِراكية العظمي عِـام 1917 في روسيا، فكانت بدورها حدثاً "عَالمياً-تاريخياً" ذا آثارٍ ممتّدة مكانياً وزمانياً على مدى عقود، وبالنسبة لنا نحنَ العرب، حتى جاءت ثورة يوليو في مصر عام 1952، لكن لم تخل كلا الثورتين، البلشفية والناصرية، من بُعدي "المواطنة" و"تقرير المصير "، حتى لو عرِّفتهما بطرٍ و مختلفة اجتماعية واقتصادية اعتبرتهما أكثر عمقاً من تعريف الثورة الفرنسية، كاشتراكية وتحرر قومي.

العبرة هي أن أي شعار أو برنامج سياسي، مثل برنامج المواطنة وحق تقرير المصير الذي رفعته الثورة الفرنسية عام 1789، لا يقاس تاريخياً من الزاوية البلاغية أو حتى المنطقية فحسب، كأنه فكرة معقمة في مختبر، بـل مّـن خريطـة اصطفـاف القـوى الاجتماعيـة والسياسـية المستفيدة والمتضررة منه وهويتها، الإقطاع مقابل البرجوازية الصناعية الصاعدة مثلاً في حالة الثورة الفرنسية وارتداداتها، أو الطبقات الشعبية مقابل الشرائح الكمبر ادورية في حالة حركات التحرر الوطني مثلاً، كذلك يفترض أن يقاس أي شعار أو برنامج سياسي من زاوية إسهامه في تحرير الأرض والإنسان والأمم أو في إعاقة مِثل ذلك التّحرير، أي ما إذا كان مضمونه تقَّدمياً أوّ



تخيلوا أن "الإمبراطورية الرومانية المقدسة"، التي انحلت خلال حروب الائتلاف الأوروبي ضد نابليون بونابرت عام 1806، كانـت تضـم أكثـر مـن 500 دولــة وإمــارة وولايــة ألمانيــة مســتقلة، وأن الدولــة المركزّيــة الفرنســية بقيــادة نابليــونَ انتصرت في الأغلبية الساحقة من المعارك التي خاضتها في أوروبا (حتى ارتكب نابليون الخطأ المميت المتمثل بغزو روسيا، والذي انتصر فيه أيضاً، سوى أنه أدى لاستنزاف جيشه العظيم نهائياً مما مهد لهزيمته الحاسمة عام 1815 في واترلو، التابعة لبلجيكا حالياً، ولهولندا سابقاً، من قبل ائتلاف أوروبي قوامه الأساسي جيشان أحدهما بريطاني، والآخير بروسي)، وأن نابليون صال وجال في شبه الجزيرة الإيطالية (غير الموحدة والخاضعة للوصاية الأجنبيّة أيضاً)، مُحطّماً عدة جيوش أوروبية بجيش فرنسي أقل عدداً بكثير، خلال عام واحد فقط!



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

German Unification – 1806-1871



فإذا كانت رسالة الثورة الفرنسية المزمعة هي تأسيس الجُمهورياتُ التي يسود فيها الشعب على أرضه، فإن الرسالة الفرنسية التي التقطها الألمان والإيطاليون كإنتِ قبل وفوق ذلك هي: الوحدة القومِيـة والدولـة المركزيـة أو لا! فالفرنسيون، من وجهة نظر الألمان والإيطاليين وغيرهم من الأمم الأور وبية المفككة، انتصر وا ليس بسبب عبقرية نابليون العسكرية الفذة فحسب، بـل بسبب استنادهم لدولــة مركزيــة قويــة تعبـر عـن إرادة قوميــة موحــدة حازمــة منبثقــة من روح الأمة.

لذلك ما من شكٍ في أن الروح القومية الألمانية جاءت في أن معياً ردةِ فعل (متناغمةً) على الثورة الفرنسية، وردة فَعلٍ أيضًا (غاضبة) على سلسلة الهزائم التي تلقتها الدويلاتُ الألمانيَة على يدها، فأرادت الحركة القومية الألمانية، بمشروعها الوحدوي، أن تتفوق على الفرنسيين في لعبتهم، ولذلك جاء تحقيّق الوحدة الألمانية الناجز (ما عدا النمسا) عـام 1871، "بالحديـد والـدم"، علـي حـد تُعبير بسمارك، مقترناً بإعلان النصر الناجر على فرنسا في باريس تحيت ظلال قوس النصر. وكان ذلك بالنسبة للألمان تحقيقاً لعدالة شاعرية من ظلم التاريخ نفسه، لا من فرنسا ونابليون فحسب

لم تكـد ألمانيــا تتوحــد فــى 18/1/1871، حتــى توحــدت إيطاليا في العام ذاته، وقد تُوجِت الحركة القومية الإيطالية

نصرها بسحق البابوية وإعلان روميا (كرسي البابوية) عاصمة لإيطاليا في حزيران عام 1871، لأن القوى الكبرى الأوروبية الرجعية التي وقفت عائقاً في طريق تحقيق الوحدة الإيطالية، وعلى رأسها فرنسا الرجعية بقيادة نابليون الثالث، كانت قد سحقتها الحركة القومية الألمانية وألحقت بها شر هزيمة، فلم يتبق أمام القوميين الإيطاليين إلا العوائق الداخلية، فسحقوها، وكان العائق الأهم من بينها بابوية روما الني ظلت تتشبث بسلطتها الدينية العابرة للقوميات على هذه الأرض في هذا الزمان، أي بسلطتها الدنيوية في النهاية كيفما قلبنا الأمر، التي شكلت تعبيراً رمزياً عن "مشروعية" الإمبراطوريات السابقة للرأسمالية والثورة الصنّاعية في أوروبا، أي للزمن الغابر، وكان الصراع من أجل تحقيقُ الوحدة القومية متعدد الأبعاد، من ميادين الفكرُ والسياسة والثقَّافةُ والإعلاِّم، إلَّي ميادين القَّتال، ومن مؤتمر فيينا الذي عقده القوميون الإيطاليون عـام 1815، حِنـي فتـح رومـا عـام 1871، صراعـاً علـي مـدي أجيـال يبقـي مشـروع الوحـدة القو مُبِية و الدولة المركزُ بِية الواحدة فيه راهناً ما دامت التجزئة قائمة.

انبعاث الحركات القومية السلافية في شرق أوروبا، مجدداً تمييزاً لها عن الحس القومي العادي الناشئ عن حقيقة الوجود القومي، وتمييزاً لها عن التورة الفرنسية القومية موضوعياً، في البرنامج السياسي وأثاره على الأرض، ولو لم تكن قومية في الخطاب والشعار والتوجه، ولو اعتقدت بصدق أنَّها ''إنسانِية الرسالة''، نقول أن الحركات والأيديولوجيات القومية السلافية جاءت ردة فعل، مجدداً متناغمة وغاضبة في آن معاً، على الحركة القومية الألمانية. فالتشيك والصرب والسلوفينيون وغيرهم، لا سيما نخبهم، وجدوا أنفسهم كأمم متأخرة علمياً وثقافياً واقتصادياً عن الألمان وأمم غرب أوروبا أمام خيارين: إما أن يصبحوا ألماناً، وإما أن يشقوا طريقاً قومياً خاصاً بهم، على حساب موروثُهم التاريخي الذيّ يشدهم للخلف، من دون أن يفقدوا هويتهم القومية، ولا أن يصبحوا خارج التاريخ إذا ما ظلوا مصرين على دو غمائية إعادة إنتاج الماضي بحذافيره في المستقبل. أصبحت إذن المعادلة العصية التي لا بد من حلها، المعادلة التي وجدت كل أمة متأخرة نفسها إزاءها، ومنها نحن العرب، ولا نزال، هي في أن معاً: تجاوز الأخر والتراث.



وهكذا مثلاً بدأت عملية تحديث اللغات السلافية وتقعيدها ومنهجتها، وهي العملية التي بدأت عندنا مع أبي الأسود الدؤلي وسيبويه، وكان في ذهن اللغويين السلاف وقتها أمران متناقضان: الأول، الحفاظ على ألى الموروث اللغوي والثقافي السلافي في ظل طغيان دفق الفكر والعلوم والثقافة القادمة بلغات أمم أوروبية أكثر تقدماً، لا سيما الألمانية، والثاني، تحويل تلك اللغات إلى لغات قادرة على استيعاب وإنتاج الفكر والعلم الحديث، وهي العملية التي لم تنجز عندنا بعد، برأيي المتواضع. وتطوير اللغة، بهذا المعنى النهضوي، هو عمل متقفين، لكن بمقدار ما تسهم اللغة ببناء هوية قومية، فإن جهدهم اللغوي يصبح بالضرورة جهداً قومياً من ناحية موضوعية، ولو لم يكونوا قوميين مسيسين، مع أنه من الصعب أن يكون المرء معتزاً بلغته، وأن لا يكون معتزاً بقوميته، على صعيد الحس ولو لم يكن قومياً في الأيديولوجيا.

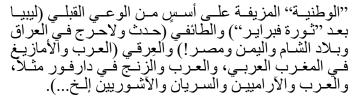
ما ينطبق على اللغة ينطبق على غير ها بالطبع، وقد كان من مفاعيل الثورة الفرنسية في بلادنا هو المشروع الوحدوي النهضوي التحرري الذي قاده محمد علي باشا وابنه إبراهيم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ويركز كثيرون على معارك محمد وإبراهيم باشا مع القوى الأوروبية والسلطنة العثمانية المتحالفة معها والساعية لمنع قيام دولة عربية مركزية في ظله، تعبر في النهاية عن حق تقرير المصير للأمة العربية، وينسون أن النقطة الأخرى في برنامج محمد وإبراهيم باشا كانت دولة المواطنة المدنية، بدلاً عن دولة الرعية والملل والنحل، ولذلك فإن محمد علي لم يصطدم مع قوى الهيمنة الأوروبية والاحتلال العثماني فحسب، بل اصطدم مع الإقطاع (المماليك) ومع قيادات الطوائف والعشائر ومع الوهابيين وأمراء الإقطاعيات الصغيرة وقوى الشد العكسي في المجتمع العربي برمته، لأنه كان يحاول استبدال المؤسسات التقليدية بمؤسسات حديثة، ولذلك استندت قوى الهيمنة والاحتلال الخارجبين إلى بنية التخلف في المجتمع العربي لمحاربة محمد علي باشا ومشروعه، ولإبقاء العرب مجزئين وخاضعين، وظلت تستخدمها، لا سيما الاستعمار البريطاني، في محاربة كل حالة وحدوية تحررية نهضوية صاعدة في الوطن العربي وصولاً للخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن العشرين في مواجهة البعث والناصرية وحركات التحرر الوطني.

لذلك اختلف ظرف السلاف والعرب واليابانيين والكثير من شعوب آسيا وإفريقبا وأمريكا اللاتينية عن ظرف الألمان والإيطاليين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، في أن المهمة التاريخية المطروحة على عاتقهم لم تتمثل بتحقيق الوحدة القومية وإنجاز مهمة تأسيس الدولة المركزية الواحدة فحسب، بل في اللحاق علمياً واقتصادياً وتقنياً ومؤسساتياً بركب الأمم المتقدمة (بغض النظر عن هراء ما بعد الحداثة اليوم الذي يمجد التخلف الحضاري باعتباره نوعاً من "التعدية الثقافية")، فالألمان والإيطاليون لم يختلفوا كثيراً عن الفرنسيين والبريطانيين وغيرهم من الأمم الغربية على تلك الصعد، وتمثلت مهمتهم بتأسيس دولة الوحدة المركزية، أما السلاف والعرب واليابانيون وغيرهم فكان عليهم، فضلاً عن ذلك، أن يحققوا مهمة اللحاق بركب التاريخ، أي أن إنجاز مهمة النهضة أضيف تاريخياً لإنجاز مهمتي الوحدة والتحرر القومي، ولذلك فإن مهمة تلك الشعوب كانت أصعب، ولا تزال، وإذا كان اليابانيون (والصينيون مؤخراً) قد نجحوا بحل معادلة "تجاوز التراث والأخر"، ونجحت الشعوب السلافية بقدر ما غير تمام، فإن العرب لم ينجحوا بعد بحلها، لا بل نجدهم تقهقروا في بعض الجوانب، بمقدار ما تقهقرت حركة ما غير تام، فإن العرب ولمناطقية والعرقية والموقية الهويات الطائفية والعرفية والعرقية وما شابه، وبمقدار ما تم تحويل تلك الهويات الفرعية إلى "هويات قومية كلية" مزيفة، مما يشكل بحد ذاته وصفة لتأبيد التجزئة والتبعية والتجلف في الوطن العربي، وللتمرغ ثقافياً في مستنقعات "الماضي مما يشكل بحد ذاته وصفة لتأبيد التجزئة والتبعية والتخلف في الوطن العربي، وللتمرغ ثقافياً في مستنقعات "الماضي مع الغرب.

تحويل الوعي القبلي إلى وعي "قومي"، تختلط فيه الرموز الدينية للقبيلة بالهوية الاجتماعية-السياسية، هو الخط الذي أسسته التوراة، عندما أصبح "يهوة"، إله العبرانيين، إلها "عالمياً-تاريخياً" مزيفاً، وأصبحت طائفته "أمة" وهمية، على حد تعبير كارل ماركس في كراسه "حول المسألة اليهودية"، وأصبح بناء "دولة قومية يهودية" منبثقاً من أساس اخترق حتى وعي الأوروبيين الغربيين والأمريكيين بتكريس اليهود ك"أقلية قومية"، واخترق حتى وعي بعض القوميين العسريين العرب الذين ينادون بإعطاء اليهود حقوق "أقلية قومية"! لكن نهج تحويل الهوية القبلية إلى هوية دينية، ومن ثم إلى هوية "أو "تقافية مستقلة" هو في العصر الحديث نهج التفكيك، ونهج إجهاض حركات التحرر القومي، كما رأينا في الهند، حيث أدى تحويل الوعي الطائفي إلى وعي "قومي" إلى تأسيس باكستان من الهند، وكما رأينا في يوغوسلافيا السابقة، حيث أدى تحويل الوعي الطائفي لدى أبناء أمة واحدة تختلف باللهجات فقط المناف اختلاق وعي "صربي" و"كرواتي" و"بوسني" بسبب الاختلاف الطائفي بين الأرثوذكس والكاثوليك والمسلمين ليس إلا... والحبل على الجرار كما يقال، وقد بتنا نحن العرب الشعب المرشح أكثر من غيره لتناسل الدويلات



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد



في مثل هذا الجو، يصبح الوجود القومي نفسه مهدداً، وتصبح الأمة أكثر عرضة للتدخلات والهيمنة الأجنبية والاحتلالات، ويصبح صدها أولوية أولى راهنة عند أي مناضل قومي، وقد أدى تراجع الحركات القومية وانحسارها إلى تقدم حركات غير قومية للتصدي لتلك الاحتلالات والتدخيلات الأجنبية، وهو ما يخلق أرضية واسعة للقاء معها، ويطرح ضرورة دعمها في مواجهـة الاحتلال والتدخل والأجنبي، ولكن هل يعني دعمها أننا يجب أن نتخلى عن مسروعنا القومي؟ وعلى المقلب الأخر، هل يجوز أن نجعل من الاختالاف العقائدي مع القوى غير القومية التي تتصدى في هذا الموضع أو ذاك لمهمــة مواجهــة الطــرّف الأمريكي-الصِهيونــي، كعــدو رئيسي للأمة، ذريعة لتغليب الخلاق الأيديولوجي معها على التناقض الرئيسي مع أعداء الأمة كما يفعل بعض القوميين للاسف، مما يدفعهم إلى صنف القوى الرجعية العربية المتحالفة مع الإمبريالية؟



هذا ما حاولنا الإجابة عليه في كتاب "من فكرنا القومي الجذري" (2013) ونقتطف منه هنا:

تمثـل المقاومـة اسـتِر اتيجية دفاعيـة فـي مواجهـة قـوى الهيمنـة الخارجيـة. تعبيـر "مقاومـة"، بالمعنـي الوطنـي، يوحـي بمواجهة تأثيرات أو ضغوط مباشرة أو غير مباشرة من الخارج. فالمقاوم هو من يتبنى مشروع إعاقة تقدم العدو وإيقاف زخم هجومه، ومنع العدو من التمتع بما تمكن منه من أرضٍ أو مواقع، بالعمل خلف خطوطٍ ه مثلًا. وكما يأخذ هجوم العدو أشكالاً متعددة عسكرية وسباسية وأمنية واقتصادية وِثقافية واجتماعية، كذلك يفترض أن تأخذ المقاومة كل تلك الأشكال لكن مضمونها يبقى واحداً: منـع العـدو مـن تحقيـق أهدافـه الهجوميـة.

بهذا المعنى تتمثل أهمية المقاومة بأشكالها في رفع تكلفة الهجوم المعادي وصولاً لصده ودجره والإنتقال من جالة الدفاع إلى حالة التوازن ومن ثم إلى حالة الهجوم الاستراتيجي. وبهذا ألمعنى أيضاً تمثل المقاومة المصلحة العليا للأمة عندما لا تمتلك القدرة على الانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم بسبب عدم تكافئ ميزان القوى أو عدم تعبئة قوى الأمة للمواجهة. تكمن أهمية المقاومة إذن في كونها تخدم مصلحة الأمة، أي في أن المقاومة مهمة ولا بد من تبنّيها والدفاع عن نهجها ورّموزُها ومواقفها لكُونها تخدّم المصلحة القومية العليا للأمة العربية.

مثلاً دفعت المقاومة العراقية الاحتلال الأمريكي للخروج من العراق وأسهمت بتقويض الاقتصاد الأمريكي. ومنعت المقاومة اللبنانية صهينة لبنان واحتلاله وأمركتة. كذلك ترفع المقاومة الفلسطينية كلُّفة احتلال فلسطين وتدفع الصهاينة للتفكير بالخروج من أرضنا بمقدار تصاعدها. وبنفس المقيآس نفكر بتراثنا الوطني المقاوم للاستعمار الذي مثله عبد الكريم الخطابي وعبد القادر الجزائـري وعمـر المختـار وعـز الديـن القسـام (الصوفـي وقومـي التوجـه بالمناسـبة).

على المستوى المدني تمنع حركة مقاومة التطبيع الكيان الصهيوني من التمدد في الوطن العربي وتحقيق أهدافه السِياسية والاقتصادية والثقافية. كذلك تتم مشاغلة محاولات اختراق الوعي والقيم والنسيج الاجتماعي من قبل أعداء الأمة وامتداداتهم من خلال القصيدة المقاومة والأغنية المقاومة والمشروعُ الثقافي والإعلامي المقاوم، وبهذا المعني فإن مجموع المنشورات والتعليقات والرسائل والمواد المناصرة للمقاومة على الإنترنت مثلاً تمثل أيضاً شكلاً من



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

أشكال المقاومـة الشعبية العربيـة فـي مواجهـة مئـات قنـواتِ التضليـل والفتنـة ووسـائل الإعـلام الصفـراء، التـي لا شـك أنهـا لعبت دوراً مهماً في كشف حقيقة ''الثورة السورية'' مثـلاً المدعومـة من قبل الإمبرياليـة والصهيونيـة.

العبرة هي أن المقاومة بصفتها استراتيجية دفاعِية هي مشروع الأمة التاريخي في المرحلة الراهنة الذي لا غنى عنه لكن بقاءناً في حالة دفاعية، في حالة مقاومة أو ممانعة، يترك المبادرة الاستراتيجية بيد العدو. فالمطلوب هو مراكمة عناصر القوة للانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم الاستراتيجي وهو ما لا يتحقق إلا بالمشروع القومي، مشروع النهوض العربي الـذي لاحـت نـذره فـّي الخمسينيات والسـتينيات ثـم أنتكـس وتراجـع، والـذي تبيـن أن مّا يسـمّي "الربيـعّ العربي" كان يحاول تصفية أثاره ومواقعه لو تتبعنا مسار وألية حراك ذلك "الربيع" المسموم.

إذن لا بد من نهوض قومي عربي جديد، بمقدار ما يبدو ذلك بعيد المنال في اللحظة التي يشتد فيها الهجوم المعادي علينا، لأننا لو اكتفينا بإيقافه عن التقدم اليوم، فإنه سيعاود المحاولة كرةً أخرى غداً أو بعد غد. والمقاومة والممانعة خط دفاعي لا غني لنا عنه، ولا نملك كأمة إلا أن ندعمه بكل ما نملك لأن مصلحة الأمة تتمثل بهذا. لكن لو اكتفت سورية بالخَّروج من أزمتها مثلاً فإن المؤامرات عليها لن تتوقف، بل لا بد لمن يتعرض للهجوم بسبب تبنيـه لمشروع المقاومـة ودفاعـه عـن المشـروع العروبـي أن يترجـم نصـره إلـى هجـوم سياسـي مضـاد يعيـد إحيـاء المشـروع القومـي فـي الشارع العربي، فتلك هي الحماية الوحيدة لسورية على المدى البعيد كما الحماية الوحيدة للمشروع الصهيوني على المدى البعيد هي نفكيك الأمة وضرب فكرة المقاومة وفكرة القومية. والمقاومة اللبنانية مثلاً بعدما حررتٍ جنوب لبنانٍ لم ولن تتوقف المؤامرات عليها لإنها لم تنتقل لمرحلة تحرير فلسطين بعدما لقنت العدو الصيهيوني درساً لن ينساه أبدأ، بلُ تقوقعت في الزاوية اللبنانية لأنها لم تنتقل لحالة مشروع قومي عربي ولذلك ظلت أيضاً في حالة دفاع استراتيجي.

المقاومة مشروعنا الراهن، لكن لا نستطيع أن نبقى في الراهن للأبد، بل لا بد من إعادة إحياء المد القومي التحرري في الوطن العربي وصبو لا لتأسيس حركة شعَّبية عربيـة منَّظمـة تتبنـي الأهداف القوميـة الكبـرى: الوحـدة والتحريّر والنهضنّة.

نضيف هنا: إن اعِتباراتِ المشروع القومي ونهج المقاومة يجب أن يحكما الخط السياسي معاً، فمن يخرج عن أي منهمًا يشطح، إن عاجلاً أم أجلاً. فالمقاوم المحكوم باعتبارات طائفية مثلاً، الذي قد يواجه العدو في هذا الموضع، لا بدله أن ينزلقَ للتقاطع معه في موضع أخر، والقومي غير المحكوم بنهج المقاومة وثوابته، من السهل عليه أن ينزلق للتقاطع مُع أعداء الأمة في كلُّ مُكِان كُما يُحدَّثُ مع بعض الذين يَزُعمُون أنهم يدافعُون عن العِروبِة في وجه إيران لينزلقوآ للتّحالف مع الإمبريّالية الأمريكية والعدو الصهيوني. وفي النهاية، لإيجوز للقومي إلا أن يكون في طليعة المتصدين للتغلغل والهيمنية الخارجية، فإن لم يفعل، فإن قوى أخرى سوف تمتلك زمام المبادرة، وسوف يخرج نفسه بنفسه من حلبة الفعل والتأثير، وقد سبق أن أوضحناً، في العدد 33 من "طلقة تنوير"، أن الشرط التاريخي الأهم لإعادة إحياء التيار القومي هو أن يعود لصدارة الحركة الشُّعبية المتصدية للاستعمار والصهيونية وقوى الهيمنة الخارجية.

المسرح الرئيسي في مدينة البتراء

فارس سعادة

تعد حضارة الأنباط من الحضارات التي لم تتكشف جميع أسرار ها القديمة بعد، ولم يعرف إلى الأن بشكل جيد تاريخها السياسي-الاجتماعي، ويعود ذلك إلى أن الأنباط لم يكتبوا تاريخهم كما فعلت الحضارات المجاورة والعالميـة وربما يعود ذلك إلى أن الأنباط كانوا مجتمعاً ''بدوياً" لم يعرف الاستقرار إلا متأخراً. صِحيح أن المعلومات الني وصلت الباحثين خِلال القرن العشرين من خلال الحضارات الأخرى "اليونانية" أفادت كثيراً في كشف أسرار الأنباط وحضارتهم، إلا أن العمارة والمادة الأثرية كانت الأكثر ثراءً في كشف غمار الماضي في مدينة البتراء وغيرها من حواضر الأنباط.

ازدهرت مدينة البتراء خلال المنتصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد وصولاً إلى المنتصف الأول من القرن الأول ميلادية وذلك تُحت حكم الملك الحارث الرابع (40 م - 9 ق.م) وذلك بالنظر البي أغلب مظاهر المدنية والتحضر والأزُّدهار التي صاحبت هذه الفترة من حكم الملك الحارث الرابع. والعمارة أحد أهم مظاهر التمدن والتحضير إذ أن ظهور المباني الإدارية والمدنية كالمعابد والمسارح وغيرها من المباني يدل على تحضر وازدهار هذه المدينة أو تلك. وفي مدينة البتراء شيد المسرح الرئيسي في المدينة في نهاية القرن الأول قبل الميلاد (Hammond 1964) أو خلال



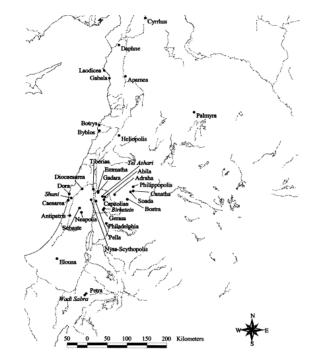
العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

القرن الأول ميلادية (McKenzie 1990)؛ وإن دل بنياء المسرح على شيء فإنيه يدل على تطور مدينة البتراء وبالتالي حاجاتها المدنية والحضّريَة وكان المسرّح أحد هذه المباني النّي كانت دليلاً على النّطور والتمّدن في تلك الفترة التي تميزت بالثقافة «الهلينستية». لم يُجسم تأريخ المسرح بشكل دقيق إلا أن نهابٍة القرن الأول قبِل الميـلاد والقرن الأول ميلادية هي الفترة التي بُني فيها المسرّح (Hammond 1964) وهذا يعني أن مسرح المدينة الرئيسي هو من أوائل المسارح التي بنيت في المنطقة العربية «سورية الكبري».

> (خريطة انتشار المسارح في منطقة سورية الكبرى (Retzleff .((2003

عمارة المسرح

يقع المسرح مباشرة بعد شارع الواجهات بعد تجاوز الخزنة، أي في منتصف المدينة مقابل الشارع الرئيسي الذي يطل على أغلب معالم البتراء، ووجود المسرّح في وسط المدينة (Hammond 1973, p:80) يدلُّل علَّى أهميـة المكان ألذي شيد فيـه المسرّح، إذ أنّ موقعه قرب السوق والشارع الرئيسي يؤكد أنَّ المدينة كانت تحتوي عدداً كبيراً من السكانّ إضافة إلى التجار الوافدين. فقد لعبت التجارة دوراً كبيراً في نقل التقنيات والثقافات الأخرى إلى الأنباط وذلك من خلال التبادل التجاري والثقافي من خلال القوافل التجارية التي كانت تمر عبر مدينة البتراء وتتوقف فيها لإتمام عمليات التبادل والببع والسراء المسرح الرئيسي في المدينة يعتبر مثالاً جيداً على عمارة الأنباط بشكِّل عام، فقد أستطاع المهندس النبطى الاستفادة من التقنيات الهندسية والمعمارية

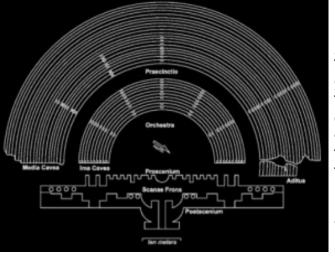


التي تنتشر حول البتراء وفي المنطقة من خلال عليه المهندس النبطي لمسته من خلال فن النجت ونوعية المواد المستخدمة في عمل هندسي مختلط "Hybrid" ترك فيه المهندس النبطي لمسته من خلال فن النجت ونوعية المواد المستخدمة في إلبناء. لقد تميز المسرح الرئيسي عن أغلب المسارح في العالم بأنه منحوت بشكل شبّه كامل بالصّبِخر الرملي، أي أن المهندس النبطي استُطاع تطويتُع البيئة الجغرافية لصالحَّه ليس فقط بالواجّهات أو المنازل بل أيضاً من خُلال تُحتّه المسرح في الصخر.

(مخطط المسرح الرئيسي في مدينة البتراء (Web source)).

الهندسية والمعمارية التي تنتشر حول البتراء وفي المنطقة من خلال عمل هندسي مُختلط "Hybrid" ترك فيــة المهنـدس النبطي لمسته من خلال فن النحت ونوَّعية المواد المستخدمة في البناء. لقد تميز المسرح الرئيسي عن أغلب المسارح في العالم بأنه منحوت بشكل شبه كامل بالصخر الرملي، أي أن المهندس النبطي استطاع تطويع البيئة الجغر افية لصالحة ليس فقط بالواجهات أو المنازل بل أيضاً من خالال نحته المسرح في الصخر.

يعتبر المسرح في البتراء نموذِجاً أولياً للعمارة النبطية حيث تُم دمّج فن النّحتّ والبنّاء معاً (Hammond 1973, p:79).





قاعة الـ(auditorium) كانت منحوتة بالكامل في الصخر في تمييز حاد عن الطرق اليونانية-الرومانية في بناء المسارح، وكما هي عادة الأنباط في النحت فقد بدأ النحت من الأعلى إلى الأسفل، حيث وصل ارتفاع واجهة المسرح «Gallery wall» إلى 15 متـر (Hammond 1973, p:79).

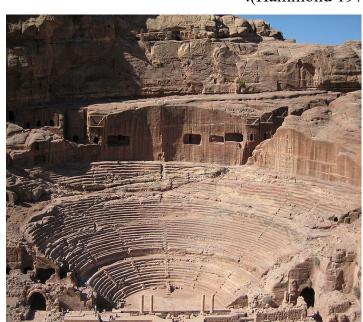
المسرح متوسط الحجم مقارنة بالمسارح اليونانية والرومانية (Hammond 1964, p:74)، ويحمل المسرح في مدينة البتراء الطابع «الهلينستي» من خلال الـ(Cayea) التي تلتصق مباشرة بالـ(Orchestra) بلا وجود لأي منصة تقسمها إلى جزئين (Retzleff 2003, p:120)، إلا أنه نحت على شكل نصف دائري وجاءت المقاعد على ثلاث مِراحل بحسب المرتبة الاجتماعية (Hammond 1962-1963, p: 97-98) ويحتوي المسرح على مقاعد للنساء والأطفال، ولا يوجد علامات على المقاعد كما في المسارح الرومانية (Hammond 1963-1964, p:98). عدم وجود أسماء أو أرقام على المقاعد جاء بسبب الاختلافات الاجتماعية بين المجتمع الروماني والمجتمع النبطي. وهو من المسارح التي تحتوي على أرضية الـ(Orchestra) التي تم إنهائها بالبلاستر ونحتت على مستوى الأرض الطبيعية (Retzleff 2003, p:120)، خلفية المسرح مسننة "Scaenae frons"، والمسافات التي خطط المسرح حسبها مختلفة، والواجهة المعمدة تزين خشبة المسرح إضافة إلى أن الممرات شبه دائرية وهناك أخرى مستطيلة (Small 1983, p:57). لقد كانت تقنية النحت ميزة للمسرح عن باقى المسارح إضافة إلى دمج تقنية النحت مع تقنية البناء باستخدام الحجارة المشذبة، وتحت واجهة الـ(gallery) هناك صفوف المقاعد التي نحتت على النمط اليوناني-الروماني مع الممرات ودرجات الـ(orchestra)، وُتُم تركُّ جدار بـارز من أسفل الـ(orchestra) لدعم الغرفة الجانبيـة وأرَّضيَّـة المسـرح "stage"، بعُض اِلممراتْ تَم نَحْتَها واخرى بنيتُ بناءً بحسب طبيعة الأرض وْما تتطلبه المساحة، عموْماً كانت حجارة البنآء المستخدِمة أصغر من الحجارة التي استخدمها الرومان في مسارحهم مقارنة بمسرح عمان وذلك يشاهد بالعين المجردة. إلا أن الواضح خلال دراسة العمارة في المسرح أن المهندس النبطي كان محترَّفاً وفاهماً جيداً لفن وعلم النحت إلا أنه جديد تماماً على البناء بالحجارة (Hammond 1973, p:80).

(صورة عامة للمسرح (web source)).

منطقة الـ(stage) منحوتة أيضاً بالصخر إلا أن منطقة الـ(hyoscnium) مبنيـة بالحجارة عند الـ(scaena) و هناك مدِخُلان رئيسيأن المنطقة المدرج والمقاعد من كل جانب، وأمام الحائط (the scenery) هنَّاكَ عدة أبواب استخدمت مـن قبـل الفنانيـن (-97 Hammond 1963-1962, p: 97 98). وكان يتم تصريف المياه من خلال نظام مائي معقد أُعَلَٰكَى المسرَّرَ لا يُشَـاهِد ولا يــؤذِّي منظـر المسـرِحِّ. تــم تجديد المسرحَ خـلال الفترة البيزنطية، خصوصاً منطقـةُ الـ(orchestra)، وتم إضافة سلالم جديدة مقابل خشبة المسرح "The proscaenium" إضافة إلى بناء جدار اسفل قاعدة المدرج (Retzleff 2003, p:128-129).

الفترة التي بني فيها المسرح سبقت السيطرة الرومانية على المنطقَّة، لذَّلك ربما يمكنُّ القول بأن الطابع اليوناني-الروماني والنبطي للمسرح جاء لعدة أسباب هي: 1. طبيعة الحضارة النبطية المنفتحة التي تأخذ وتطور تقنيات وافدة

عليها في أغلب المجالاتِ ومنّها العمارة، 2. التأثير اليوناني كان بسبب طول فترة الاحتلال اليوناني للمنطقة وازدهار الحضارة اليونانية، 3. التأثير الروماني في شكل المسرّح جاء بسبب الاحتكاك النبطي الروماني في تلك الفترّة على المستوى التجاري "على الأقل" وبسبّب تقوق الرومان قي عمارة المسارح، 4. اللمسّة النبطيـة من خلال فن النحت كانت أمراً طبيعياً بسبب طبيعة عمارتهم المنحوتة في أغلب المباني والواجهات.





العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

المجتمع النبطى والمسرح

المسرح الرئيسي في البتراء من أوائل المسارح التي بنيت في المنطقة العربية، وهذا دليل على أهمية مدينة البتراء ومؤشر على قاعدتها الثقافية التاريخية الممتدة في العمق العربي القديم وقدرتها على استيعاب الثقافات الأخرى من خــلال تبنــي أجــزاء معينــة منهـا كالمســارح مثــلاً والعمــارة عمومـــأ وجعلهـا فــي خدمــة المجتمــع النبطــي. والمســرح يلبــي حاجات اجتّماعية معينة تختلف من مجتمع لأخر بحسب طبيعته وثقافته، فالمسرح اليوناني وظّف للترّاجِيديا والكّوميديّا والدرامـا (Boawright 1990, p:186)، ومـع قيدوم الرومـان وسـيطرتهم علـي أغلـب مناطـق البحـر الأبيـض المتوسـط غيروا شكلٌ ووظيفُة المسرح بشكل كبير فقد أصبحت المسارح الروماني أضخم وأكبر (Haddad 2002, p:3-4)؛ ووظفت المسارح للعروض الرياضية والمعارك إضافة للعروض المسرحية الدرامية. أماً الأنبأطُ فلم تختلف كثيراً عروضهم أو استُخدِاماتهم للمسرح، ولربما كان المسرح في بعض الأحيان قد أستخدم لوظيفة ''طقوسية'' دينية ما في مراحلة الأولى إلا أنه وظف للعروض الرياضية خلال سيطرة الرومان (McKenzie 2001, p:105).

من الطبيعي أن تنعكس صورة المجتمع على المباني العامة والخاصة، ففي المجتمع اليوناني إنعكست طبيعة المجتمع الطبيعة المجتمع القبلية والمناطقية والمناطقية والمناطقية والمناطقية والمناطقية المجتمع المجتمع المناطقية على ترتيب الجمهور داخل المسرح بحسب الانتماء "القبلي" أو المناطقي، أما في المجتمع الروماني فقد كانت الطبقية هي التي تسيطر تماماً على المجتمع لذلك كان الجلوس بحسب الرتبة الاجتماعية "الاقتصادية" (Haddad 2001, p:4)، وإذا نظرنا إلى المجتمع النبطي فقد تدل واجهات المقابر واختلافها عن بعضها البعض من حيث الحجم والنحت ووجود قصور "فيلا" في المدينة على أن المجتمع كان طبقياً إلى حدّ ما وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى أنه مجتمع تجاري يعتمد على التجارة بشكل أساسي، ففي المسرح النبطي هناك أحجام مختلف من المقاعد وصفوف مقاعد أسفل المدرج (Hammond 1964, p:61) إضافة إلى أن ترتيب المقاعد جاء مشابها لترتيب المقاعد اليونانية-الرومانية في مسارحهم بمآيدل على أن الجمهور كان يجلس بحسب المرتبة الاجتماعية.

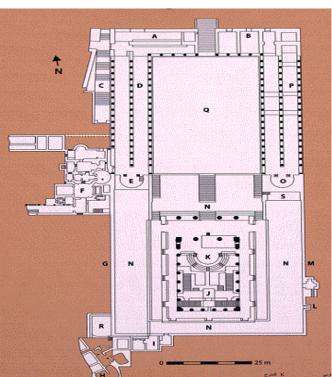
(مخطط المعبد الكبير مع المسرح الداخلي (Joukowsky 2002))

المسرح الذي اكتشف في المعبد الرئيسي "The Great Temple" أو الـ(Theatron) يقرب الصورة الني كانت ثقافة الأنباط تِمثلها، فهم وظفوا كل ما شاهدوه ونقلوه من الحضارات الأخرى لما يناسب مجتمعهم، فالمسرح الصغير الذي يتسع لـ630-550 شخص (Joukowsky 2001, p:49) فسرت وظيفته على أنه كان مسرحاً للمستمعين والاجتماعات في المدينة أو أنه خصص للإله "ذو الشرى" (Joukowsky 2001, p: 52-55). ولعلَ تنوع الفنون المعمارُيّــة والتقليّــاتُ التي أستخدمها الأنباط في نحت وبناء المسارح يعود إلى طبيعًة الثقافة النبطية نفسها المنفتحة التي تتقبلُ كل ما هو جديد ومفيد لها بعيداً عن أي تعصب أو انغَّلاق ثقافي لا سيما أن الأنباط أهل تجارة وسفر ووساطة بين الدول والحضارات المجاورة والبعيدة، لذلك تميـز الأنبـاط عـن غير هـم بالتنـوع الثقافي والحضاري مما زاد من ثراء حضارتهم على كل المستويات.



يسجل للأنباط أنهم رغم الوضع غير المتوازن من حولهم على المستوى السياسي، بوجود صراع بينهم وبين اليونان،

ومن ثم بينهم وبين الرومـان من جهــة أخـري، فإنهم بقو إ متمسِكين بالبنــاء والعمـل علــي ازدهـار حواضر هم مـن خـلالِ بنـاءِ المبانـي العِامـة والخاصـة بجهد كبير جداً، والمسرح أحد أهم هذه الشـواهد إذ انـه بنـي فـي فتـرة مزدهـرة اقتصاديـاً إلا أنها سياسياً غير متوازنة مع سقوط الدولة السلوقية في فلسطين وحلول الرومان محلهاً.





العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

لقد شكل المسرح أيقونة معمارية حملت داخلها ثلاث فنون معمارية لثلاثة حضارات كبيرة وهي اليونانية، الرومانية، والنبطيبة الخالصيّة التّي ميزت المسرح عن بأقي المسارح في المنطقة والعالم ألاّ وهي فُن النحبّ . هذا "الدمّج" بين فُنـون العمـارة مـن حضّـاراتُ مختلفـةُ شُـكلٍ ظاهـرَّة معماريـة فرّيـدة فـي المُنطقـة والعالـم وّخصوصـاً أن المسـرح بنّـ فترة مبكرة لم يكن فيها المسرح موجوداً في المنطقة وبحجمته المتوسط مقارنة بالمسارح اليونانية-الرومانية والكبير نسبياً مقارنة بالمسارح الموجودة في منطقتنا العربية.

تنوع الفرضيات من قبل الباحثين الأثريين يدل على تنوع الثقافة النبطية وتعقيدها وأنها كانت غنية وتحتمل الكثير من كُل مَا هُو جديدٌ وحُضاري لهذا تعدّدت تُفسيرات الباحثين حول وظيفُة الْمسرح في مدينة البتراء من وظيفة دينية أو اجتماعية ''للمتعة والمرح'' وصولاً إلى تفسير أن المعبد الصغير (Theatron) كان مخصصاً لاجتماعات المدينة أو

REFERENCES

Boatwright, Mary

1990 Theaters in the Roman Empire. The Biblical Archaeologist, Vol. 53, No. 4vpp. 184-192. Amman: The American Schools of Oriental Research.

Haddad, Naif; and Talal Akasheh

2002 Assessment of the Relations between Ancient Theatres, Landscape and Society. the Hashemite University. Jordan.

Haddad, Naif; Jamhawi, Monder; and T. Akasheh

Relations between Ancient Theatres, Landscape and Society. the Hashemite University. Jordan. 2003

Hammond, Philip. C.

1962-1963 Petra: The Excavation of the Main Theater. The American Scholar, Vol. 32, No. 1, pp. 93-106. The Phi Beta Kappa Society.

1964 The Excavation of the Main Theater at Petra. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 174, pp. 5966. The American Schools of Oriental Researc.

1974 The Nabataeans – their history, culture and archaeology. Gothenburg. Sweden.

Joukowsky, Martha Sharp; and Basile, Joseph J.

2001 More Pieces in the Petra Great Temple Puzzle. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 324, Nabataean Petra, pp. 43-58. The American Schools of Oriental Research.

Joukowsky, Martha Sharp

The Petra Great Temple: A Nabataean Architectural Miracle. Near Eastern Archaeology, Vol. 65, No. 4, Petra: 2002 A Royal City Unearthed, pp. 235-248. The American Schools of Oriental Research.

McKenzie, J. S.

1990 The Architecture of Petra. British Academy Monographs in Archaeology. Oxford: Ox ford University. Retzleff, Alexandra

Near Eastern Theatres in Late Antiquity. Phoenix, Vol. 57, No. 1/2, pp. 115-138. Classical Association of Can-2003 ada.

Small, David

Studies in Roman Theaters Design. American Journal of Archaeology, Vol. 87, No. 1, pp. 55-68. Amman: Ar-1983 chaeological Institute of America.



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

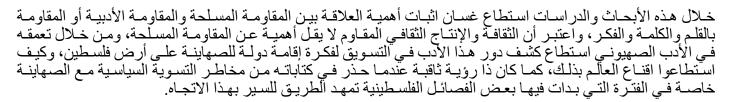
الصفحة الثقافية: فدائى الكلمة غسان كنفاني طالب جميل

خلال الستة والثلاثين عاماً التي عاشها غسانٍ كنفاني ترك بصمة وعلامة فارقة فيما قدمه من إنتاج أدبى وفكري على مستوى الكتابات الأدبية التي أبدعها والدراسات التي أنتِجها والمقالات الصحفية الذي كان ينشرها هنا وهناك، فأثبت حضوره بقوة حتى بعد استشهاده في جميع حقول الكتابة وكان لإسهاماته الفنية والتشكيلية أثر كبير لدى مختلف المهتمين من أبناء الشعب العربي.

في سنِوات عِمره القِصير استطاع أن يكون روائياً مهماً وبآحثاً متعمقاً في الأدب العربي والصهيوني وقاصاً متمكناً وكاتباً مسرحياً عظيماً، واستطاع أن يؤسس مدرسته الأدبية الخاصة به المبنية على فكر وأدب المقاومة ممهدأ طريق الخلود لاسمه ولأعماله لدي كافة المؤمنين بالعمل المقاوم وبحق العرب التاريخي باستعادة فلسطين باعتبار ها جزءاً من الأرض العربية، لذلك ارتبط اسمه بالعمل المقاوم وبالتضحية وبالاستشهاد

قدم غسان كنفاني در اسة مهمة وحيوية ساهمت في تقديم وترويـج أدب المقاومــة الــذي يحــرض علــي الثــورة فــي وجه الإحتلال والمقاومة والبحث عن الحرية المفقودة عبر مقارعة العدو بالسلاح، حيث كانت هذه الدراسة بعنوان (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1966-1948) واحتوت على ثلاثة فصول، يتناول فصلها الأول الإنتاجات ٱلأدبية الفلسطينية بعد عام 1948، وتناول فصلها الثاني موضوعة البطل العربي في الرواية الصهيونية مقابلً

الأدب العربي الفلسطيني - وهي من الدراسات النادرة والمتعمقة في الأدب الصهيوني-، وفي الثالث يتناول نماذج من الشعر الفلسطيني.



لم يكن غسان كنفاني رِائداً في الواقعية السحرية ولا روائياً رومانسياً كلاسيكياً ولا كاتباً فانتازياً يستوحي حكاياته من عالم الخِيـال، ولا كاتبًا صاحبٌ نزعة بوليسية يبحبُ عن العِنف والإثـارة في قصصه، بـل كان كاتبًا مؤدلجًا مقاومًا مخلصاً لهمه الوطني يبوح بما تبوح به عيون الأطفال والأمهات الثكالي في خيام اللاجئين الفلسطينيين ويعبر عن هواجس الرجال الذاهبين إلى حتفهم باسمين وهم يحملون على أكتافهم البنادق وقلوبهم ترنو للنصر.

اعتمد في كتابة نصوصه القصصية والروائية والمسرحية والمقالات السياسية الثورية وأبحاثه على نهج في الكتابة يستند فيُّ الدرجـة الأُولـي علـي فكـرة المُّقاومـة، وفـي الدرجـة الثانيـة كانـت التَّفاصيُّـلُ الأُخـري، التـي هـي عبـارة عـن مهارات قنية وتقنيات سردية وإبداعات فلسفية تستدعيها جالات الكتابة والإبداع أحياناً، لذلك أصبح اسم غسان مرتبطاً بشكل وثيق بكافة الدراسات والأبحاث التي قدمت عن أدب المقاومة.





في (عائد إلى حيفا) أكد على حق العودة لكل مهاجر ولاجئ إلى وطنه وبيته في فلسطين بغض النظر عن أي تخاذل ممن اعتبروا الصهاينة أباً وأمّاً لهم، واستعرض في (أرض البرتقال الحزين) معاناة الإنسان الفلسطيني المهجر من وطنه ومرارة اللجوء، وتطرق في (رجال في الشمس) للمصير التراجيدي الذي واجهة الرجال الثلاثة فأذابهم لهيب الشمس داخل الصهريح فماتوا ولويد دقوا حداد الخزان أثناء محاولتهم الخلاص من واقعهم المعشى عبر الدحث عن

الشمس داخل الصهريج فماتوا ولم يدقوا جدار الخزان أثناء محاولتهم الخلاص من واقعهم المعيشي عبر البحث عن حلول فردية، وفي (أم سعد) كانت الأم الفلسطينية تقدم نموذجاً رائعاً في الخلاص والتضحية والفداء وكانت مقولتها الشهيرة (خيمة عن خيمة تفرق) التي فرقت فيها بين خيمة اللاجئ وخيمة المقاوم بصقة مدوية في وجه العالم تعلن من خلالها رفضها لهذا المصير الذي حوّل أصحاب الأرض لمتسولين في بقاع الأرض، أما تشبيهها للبارودة بأنها (مثل الحصبة تعدي) فهي دعوة للانخراط في العمل المسلح، وفي مجموعة (عن الرجال والبنادق) قدم رسالة واضحة مفادها أن قيم الرجولة لا تكتمل إلا مع البندقية عندما يتعلق الأمر باحتلال الأرض، وفي (عالم ليس لنا) كان غسان

كانت المدن العربية (عمان، الموصل، البصرة، دمشق) وغيرها من المدن الفلسطينية حاضرة في أعماله القصصية، وكان الهم العربي وهموم الإنسان العربي مادة رئيسية في معظم أعماله، وكان يوجه القارئ دائماً إلى أن القضية الأولى والرئيسية قضية فلسطين هي قضية قومية مرتبطة بأمة لا بقطر واحد.

يجسد الكفاح الفلسطيني ضمن إطار فلسفي رومانسي.

تظهر في أعمال غسان كنفاني نزعة المقاومة والتحريض بشكل واضح ومحاولة ترسيخ فكرة المقاومة، وترتكز بالأساس على فكر وخلى الكيان الصهيوني) بالأساس على فكر رجل مثقف ثقافة قومية وثورية ذات بعد يساري وعلى إيمان وقناعة بأن (الكيان الصهيوني) مشروع استعماري خطير، ويعكس في كثير من الأحيان تجربته الخاصة كطفل وشاب في الهجرة واللجوء والترحال داخل فاسطين وخارجها فتبرز معاناة الفلسطيني المسلوب الذي أجبر بالقوة على ترك أرضه والهجرة.

غسان كاتب فدائي وشخصية استثنائية في تاريخ الأدب الفلسطيني والعربي وأيقونة للأدب المقاوم، ولأجل كل مساهماته الفكرية والأدبية الرافضة لفكرة وجود الكيان الصهيوني والمحرضة على المقاومة ورفض هذا المشروع الاستعماري، أصبح يدرك الصهاينة أن فكره وقلمه يشكلان تهديداً خطيراً وأن لكتاباته تأثيراً كبيراً ودوراً مهماً في التحريض ضد مشروعهم، لذلك قرروا التخلص منه.

و لأن غسان كنفاني يحمل من صفات الشاعر الثوري التقدمي (لوركا) فقد لاقى نفس المصير الذي لاقاه الشاعر الإسباني (الذي اعترف بأندليسته ذات يوم) وقال ضمن نفس السياق: (إن العربي الذي نحمله فينا جميعاً في ذواتنا)، فكان (لوركا) الذي دافع عن الفقراء من الغجر والزنوج ضحية لإجرام الفاشيين بعد أن جروه لساحات الإعدام، أما غسان الذي دافع أيضاً عن الطبقات الفقيرة من أبناء شعبه في المخيمات وأماكن اللجوء فمزق الصهاينة وعملاؤهم جسده وحولوه إلى شظايا تطايرت في سماء الكرامة والحرية، فدفع كلاهما حياته ثمناً لأرائه وكتاباته وأفكاره.

لا يكتمل الحديث عن أدب المقاومة دون أن يذكر اسم غسان كنفاني، ولا يمكن الحديث عن الشهداء دون المرور على اسمه، ولا يجوز الكلام عن أشكال الفن الهادف والموثر دون ذكره، ولا تستعيد أي مكتبة ألقها دون أي يخصص فيها رف على الأقل لأعمال الشهيد المناضل المقاوم غسان كنفاني.



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

قصيدة العدد:

بكائيات (سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس)...أمل دنقل



(الإصحاح الأول) عائدو ن؛ وأصغر إخوتهم (ذو العيون الحزينة) يتقلب في الجب، أجمل إخوتهم. لا يعود وعجوز هي القدس (يشتعل الرأس شيباً) تشم القميص. فتبيضُ أعينها بالبكاء، ولا تخلع الثوب حتى يجئ لها نبأ عن فتاها البعيد أرضٍ كنّعان - إن لم تكن أنت فيها - مراع من الشوك يورثها الله من شاء من أمم، فالذي يحرس الأرض ليس الصيارف، إن الذي يحرس الأرض ربُّ الجنود آه من في غد سوف يرفع هامته؟ غير من طأطأوا حين أزَّ الرصاص؟ ومن سوف يخطب _ في ساحة الشهداء _ سوى الجبناء؟ ومن سوف يغوى الأرامل؟ إلا الذي سيوول إليه خراج المدينة!!؟

(الإصحاح الثاني) أرشق في الحائط حد المطواة والموت يهب من الصحف الملقاة أتجزأ في المرآة... يصفعني وجهي المتخفي خلف قناع النفط "من يجرؤ أن يضع الجرس الأول.. في عنق القط؟"

(الإصحاح الثالث)
منظر جانبي لفيروز
(وهي تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة:
منظر جانبي لفيروز،..
والبندقية تدخل كل بيوت (الجنوب)
مطر النار يهطل، يثقب قلباً.. فقلباً



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

ويترك فوق الخريطة ثقباً. فثقباً. وفيروز فَي أغنيآت الرغاة البسيطة تستعيد المراثى لمن سقطوا في الحروب تستعيد. الجنوب! (الإصحاح الرابع) البسمة حلم والشمس لهي الدينار الزائف في طبق اليوم (من يمسح عنى عرقي. في هذا اليوم الصائف؟) والظل الخائف. يتمدد من تحتى؛ يفصل بين الأرض.. وبيني! وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف (حاء... باء) (حاء... راء .. ياء.. هاء) الحرف: ألسيف مازلت أرود بلاد اللون الداكن أبحث عنه بين الأحياء الموتى والموتى الأحياء حتى يرتد النبض إلى القلب الساكن لكن !! (الإصحاح الخامس) منظر جانبي لعمان، عام البكاء والحوائط مرشوشة ببقايا دم لعقته الكلاب ونهود الصبايا مصابيح مطفأة... فوق أعمدة الكهرباء... منظر جانبي لعمان؛ والحرس الملكى يفتش ثوب الخلفية وهو يسير إلى قرايلياء" وتغيب البيوت وراء الدخان وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة في العلم الأجنبي، ويعلو وراء نوافذ "بسمان" عزف البيان!

(الإصحاح السادس) اشترى في المساء قهوة، وشطيرة. واشترى شمعتين. وغدارة؛ وذخيرة وزجاجة ماء...



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد (ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد) ليس من أجل أن يتفجر نفط الجزيرة ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض... من حول مائدة مستديرة... ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء...

(الإصحاح السابع) ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر، ليغفر الرصاص.. يا كيسنجر...

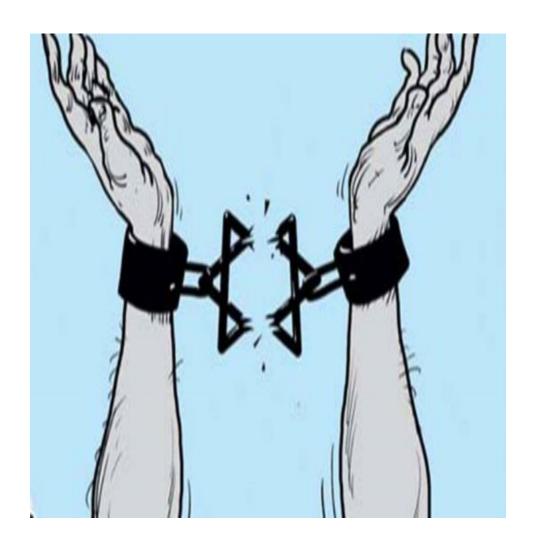
القصيدة المكتوبة عام 1975، في ديوان /العهد الآتي/ للشاعر المصري أمل دنقل، بأسلوب شعري رائع، تتناول حادثة الاغتيال التي وقعت عام 1968، بحق السيناتور الأميركي المرشح للرئاسة آنذاك (روبرت كينيدي)، شقيق الرئيس جون كينيدي، على يد الشاب العربي الفلسطيني (سرحان بشارة سرحان) هو ذا إذن، بطل العملية الثأر، الذي أطلق النار لا لأجل أن يتفاوض الخونة باسم الشعب، ولا لكي يملؤوا بطونهم من لحم أجساد الشهداء والجرحي، أو يغسلوا عارهم بدمائنا...

تكثر الروايات حول دوافع بطل القصيدة، ويختلف الكثيرون حول معنى البطولة والإرهاب في قضيته، إلا أنه عند صاحب الملحمة الشهيرة (لا تصالح) الشاعر الراحل أمل دنقل، يبقى ذلك العربي الذي يرفض الذل والإهانة، فلا يجد إلا الطريق الحقيقي والوحيد، ضاغطاً على الزناد والقدس بين عينيه، و"السلام" الاستسلام المزعوم إلى الجحيم، كما اعتبرها الكثير من النقاد رداً على قصيدة مشابهة لمحمود درويش بعنوان (سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا)، تتناول القضية من زاوية مختلفة تماماً.



العدد رقم (53) صدر في 1 تشرين أول عام 2018 للميلاد

رسم العدد



انتهى العدد